Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والحب حياة النفوس الموات، وعلة امتزاج المركبات، وسبب ازدواج الحيوان والنبات . . . »[4].

يعلم كل مهتم أن عملية المماثلة والمشابهة تقوم على ركنين؛ هما الأصل والفرع أو المشبه والمشبه به، كما أن كل مهتم يعلم أن الأصل هو الذي يقاس عليه الفرع، وأن المشبه يلحق بالمشبه به لأن كلا من الأصل والمشبه به يكونان معروفين ويكونان خِصْبَيْنِ وثَرِيَّيْنِ بحيث يستوعبان الفرع أو المشبه أو يمكن أن يمنحا الفرع أو المشبه شيئاً من مقوماتهما لعلة مشتركة أو لجامع ذاتي أو عرضي. ولذلك، فقد قام ابن الخطيب بهذه العملية القياسية. إن الشجرة والأرض يعرفهما الناس معرفة حس مشترك أو معرفة «علمية»، ولكن أكثر الناس لا يعرف ما المحبة ولا يدري ما النفوس. ولذلك كان من الضروري أن يرجع اللامعروف إلى المعروف ليقرب لمن لا يعلم سمات ما يتحدث عنه؛ على أنه قد يحدث العكس فيصير المشبه مشبهاً به كالشأن فيما يسمى بالتشبيه المقلوب، كما أنه في بعض الحالات قد يصبح الفرع أصلاً. وعلى هذا، يمكن الزعم أن عملية المقايسة الأولى لا تكون إلا مقدمة يتعرف بها الفرع أو المشبه به ليصبحا ـ فيما بعد ـ هما المقصودين.

ما أشرنا إليه هو ما فعله ابن الخطيب؛ فقد كان من الطبيعي أن يصوغ استعاراته على الشكل التالي: المحبة شجرة، والنفوس أرض، وأقسام المحبة أغصان الشجرة، وحكايات المحبة أوراق الشجرة وأثمار المحبة أزهار الشجرة، وثمرة المحبة الوصول إلى الله، والروح والنفس والعقل تربة الشجرة؛ ولكن ابن الخطيب لم يتخذ الشجرة والأرض المحسوستين إلا ليبني تشابيه مقلوبة. وهكذا عبر بالشكل التالي: الشجرة المحبة، والأرض النفوس، والأغصان أقسام المحبة، والأوراق حكاية المحبة، وأزهار الشجرة ثمار المحبة، والوصول ثمرة المحبة، وتربة الأرض الروح والنفس والعقل. وبعد هذا صار يتحدث عن المشبه به الجديد الذي هو شجرة من نوع خاص؛ فهذه الشجرة وإن أسند لها الدهن والأوراق والأفنان فليس ذلك إلا لتقريبها إلى الأفهام والأوهام، وكذلك ما منح إلى الأرض من صفات؛ فالأرض ليست الأرض والشجرة ليست الشجرة والثمرة ليست الثمرة مِنْ جهة أو جهات وإن كانت هي إياها من جهة أو جهات. إنها «أرض زكية وشجرات فلكية وثمرات ملكية وعيون غير بكية».

(4) ابن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق، د. محمد الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء ـ بيروت، 1970، ص 101-105). (روضة).